دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم : دراسة نحوية دلالية
المؤلف الرئيسي:	حسن، محمد ادريس
مؤلفين آخرين:	إسحق، إبراهيم آدم(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1998
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 220
رقم MD:	661450
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية اللغة العربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم ، الإعجاز اللغوي، النحو، الجملة الاعتراضية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/661450

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الثاني

الاعتراض في لغة العرب وفي القرآن الكريم

المبحث الأول:

استعمال العرب للاعتراض

المبحث الثاني:

الغرض من استخدام الاعتراض في القرآن الكريم

المبحث الثالث:

العلاقة بين الجملة الاعتراضية وما اعترضته

المبحث الرابع:

الاعتراض بأكثر من جملة

المبحث الخامس

بلاغة الاعتراض في القرآن الكريم

الفصل الثاني

الاعتراض في لغة العرب وفى القرآن الكريم

كثر ورود الاعتراض في كلام العرب وفي القرآن الكريم ، وقد أشار إلى ذلك ابن جني حيث قال: (اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن الكريم ، وفصيح الشعر ، ومنثور الكلام.

وهو جار عند العرب مجرى التأكيد ، فلذلك لا يشنع عليهم ، ولا يستنكر عندهم، أن يعترض به بين الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره وغير ذلك مما لا يجوز الفصل (فيه) بغيره (إلا) شاذاً أو متأولاً[١]).

المبحث الأول: استعمال العرب للاعتراض:

قد استعملت العرب الاعتراض في كلامها المنظوم منه والمنثور ، وذكر ذلك ابن جني أيضاً فقال: (والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن ، ودال على فصاحة المتكلم وقوة نفسه وامتداد نفسه ، وقد رأيته في أشعار المحدثين ، وهو في شعر إبراهيم بن المهدى أكثر من غيره من المولدين[٢]). وسوف أتناول موضوع هذا المبحث من جانبين هما:

١/ استعمال العرب للاعتراض في شعرها:

استعمال العرب للاعتراض ظاهر في الشعر ، وربما كان في الشعر أكثر من النثر ، ومن شواهد وروده في الشعر.

قول امرئ القيس[٣]:

ألا هل أتاها – والحوادث جمة – بأن امرأ القيس بن تملك يبقرا[٤]

الشاهد من البيت هو قوله – والحوادث جمة – فإنها جملة اعتراضيه اعترضت بين الفعل والفاعل.

---

(١) الخصائص لابن جني: ٣٣٥/١.

(٢) الخصائص لابن جني: ٣١٤/١.

(٣) أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من شعراء المعلقات السبع.

(٤) تملك: هيأمه والمشهور في اسمها فاطمة. بَقَرَ: ترك البادية ونزل العراق أو الحضر.

ومثله قول جورية بن زيد[١]:

وقد أدركتني والحـــوادث جمـــة ... أســـنة قـــوم لا ضعـــاف ولا عـــزل

والشاهد في هذا البيت أيضاً هو قول الشاعر: (والحوادث جمة) لاعتراضها بين الفعل (أدرك) ، وفاعله (أسنة) ، ومن الاعتراض قول زهير بن أبي سلمي:

وما أدري وسوف - إخال - أدري ... أقـــوم آل حصـــن أم نســـاء[٢]

الشاهد في قوله (إخال) فهو جملة اعتراضية بين (سوف) والفعل (أدري) ومنها قول الشاعر:

ذاك الذي - وأبيك - تعرف مالك ... والحـق يدمـغ ترهـات البـاطل[٣]

الشاهد في البيت هو قوله: (وأبيك) فإنه اعتراض بين الموصول وصلته ، ومنها قول الشاعر:

ألـم يـأتيك - والأنبـاء تنمـي ... بمـا لاقـت لبـون بنـي زيـاد[٤]

الشاهد في قوله: (والأنباء تنمي) فإنه اعتراض بين الفعل وفاعله ، ومنها قـول الشاعر:

أرانـي - ولا كفـران لله إنمـا ... أواخي مـن الأقـوام كـل بخيـل[٥]

الشاهد في قوله: (لا كفران لله) فإنه اعتراض ، وقع بين أرى ومفعوليها ، ومنها ما قاله نفس الشاعر:

---

[١] جورية بن زيد وقيل حويرثة بن زيد من بني دارم ، وجاء في الخصائص ٣٣١/١ هذا البيت لرجل مـن بني دارم يمدح بني عجل وقد أسروه ، وقد خلوه جزاءاً لمدحه.

[٢] ديوان زهير: ص ٧٣

[٣] البيت لجرير ، جاء في ديوانه ٥٨٠/٢ : الترهات: الطرق الصغار عبر الحارة تتشعب منـها ، فارسـي معرب ثم استعير في الباطل . مختار الصحاح مادة: (تره).

[٤] البيت لقيس بن زهير العبسي: (قال ذلك في إبل الربيع بن زياد القيسي ساقها وباعها بمكـة ، وذلـك أن الربيع كان قد أخذ منه درعاً ولم يردها عليه).

[٥] البيت لكثير بن عبد الرحمن الخزاعي شاعر عاشق عرف بكثير عزة - ديوانه.

وإنـــي – وتـــهيامي بعـــزة بعدمـــا تخليـــت ممـــا بيننـــــا وتخلـــــت
لكـــالمرتجي ظـــل الغمامـــة كلمـــا تبـــوأ منـــها للمقيـــل اضمحلـــــت

فالشاهد في قوله: (وتهيامي بعزة بعدما تخليت مما بيننا وتخلت) فإنه اعـــتراض بأكثر من جملة – بين اسم إن وخبرها . ومنها قول الفرزدق:

وإنـــي لـــرامٍ نظـــرةً قِبَـــل التـــــي لعلي – وإن شطت نواها – أزورها[١]

الشاهد في هذا البيت هو قوله (وإن شطت نواها) فإنها جملة اعتراضية واقعـــة بين اسم (إن) وخبرها. ومنها قول الشاعر:

رأيـــت رجـــالاً يكرهـــون بناتـــهم وفيهن – لا تكذب – نســـاء صوالـــح
وفيهن – والأيـــام يعـــثرن بـــالفتى نـــــوادب لا يمللنـــــه ونوائـــــح[٢]

الشاهد في البيت الأول: هو قوله (لا تكذب) فإنه اعتراض بين الخـــبر المقـــدم ومبتدئه المؤخر ، والشاهد في البيت الثاني هو قوله: (والأيام يعـــثرن بـــالفتى) فإنـــه اعتراض أيضاً بين الخبر المقدم ومبتدئه المؤخر. ومنها قول الشاعر:

لعلك – والموعـــود صـــدقٌ لقـــاؤه بدا لك في تلـــك القلـــوص بـــداء[٣]

الشاهد في البيت قوله (والموعود صدق لقاؤه) ، فإنه جملة اعتراضية اعترضت بين ما أصله المبتدأ والخبر . ومنها قول الشاعر:

إن الثمـــــانين – وبلغتـــــــها قد أحوجت ســـمعي إلـــى ترجمـــان

الشاهد في البيت هو قوله (وبلغتها) إنها جملة اعتراضية،الغرض منها الدعـــاء ومنها قول الشاعر:

---

[١] الفرزدق هو: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية – شاعر معروف مشهور أما (الفرزدق) فلقبه.

[٢] البيت لمعن بن أوس المزني بن نصر بن زياد بن سعد ، المزني نسبة إلى مزينة بنت كلب غلبت عليـــهم فنسبوا إليها.

[٣] البيت لمحمد بن بشير الخارجي المدني وهو من بني خارجة – وليس من الخوارج ،وله حلف في أشجع و يكنى بأبي سليمان – معجم الشعراء لأبي عبيد الله المرزباني.

إن سـليمى – والله يكلؤهـا ضنَّت بشـيء مـا كـان يرزؤهـا

الشاهد في البيت هو قوله: (والله يكلؤها) فإنها جملة دعائية معترضة بين ما أصله المبتدأ و الخبر.

فهذه الأمثلة التي أوردتها هي قليل من كثير في مجال الاعتراض ، وذلك أن العرب قد استعملت الاعتراض في شعرها كثيراً ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فعليه بدواوين الشعراء ، وكتب النحو واللغة ، وكتب إعراب القرآن الكريم.

٢/ استعمال العرب للأعتراض في نثرها:

استعمل العرب في نثرهم الاعتراض كثيراً ، وقد أشار إلى ذلك ابن جني في كلامه الذي ذكره الباحث آنفاً ، إنه قال: (والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن ، دال على فصاحة المتكلم وقوة نفسه[١]) إلخ ...

ومن الاعتراض في النثر قولهم: (زيد – ولا أقول إلا حقاً – كريم) ، وعلى مسألة الكتاب: (إنه – المسكين – أحمق[٢]) ، فإن التقدير الأول: (زيد كريم) وما بينهما اعتراض بين المبتدأ وخبره ، وكذلك في الثاني فإن تقديره: (إنه أحمق) تتكون الجملة من (إن) واسمها وخبرها ، أما كلمة (المسكين) فهي اعتراضية وقعت بين اسم إن وخبرها.

ومنه(مرَّ حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم – وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريش – فقال لها حسان: اظعني فالحقي بالحي فقد ظعنوا ، وليت شعري ما خلفك وما شأنك: أقل ناصرك أم راث رافدك ؟ فلم تكلمه ، وشتمه نساؤها فذكرها في شعره في يوم الربيع[٣]).

فإن الجمل فيما حكاه صاحب الأغاني ، (وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريش) جمل اعتراضية لا محل لها من الإعراب ، فتقدير الكلام مرَّ حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم فقال لها ....) إلخ..

ومنه (قال: حدثنا من سمع هلالاً يقول: قدمت المدينة وعليها رجل من آل مروان ، فلم أزل أضع عن إبلي وعليها أحمال للتجار حتى أخذ بيدي ، وقيل لي: أجب

---

[١] الخصائص لابن جني: ٣٤١/١.

[٢] الخصائص لابن جني: ٣٣٧/١.

[٣] كتاب الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني ١٣/٣.

الأمير. قال: قلت لهم: ويلكم ! إبلي وأحمالي ! فقيل لا بأس على إبلك وأحمالك. قال: فانطلق بي حتى أدخلت على الأمير ، فسلمت عليه ثم قلت: جعلت فداك ! إبلي وأمانتي إقال ، فقال: نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤديها إليك. قال: فقلت عندك ذلك فما حاجة الأمير إلي جعلني الله فداه ؟ فقال لي – وإلى جنبة رجل أصغر ، لا والله ما رأيت رجلاً قط أشد خلقاً منه ولا أغلظ عنقاً ، ماأدري أطوله أكثر أم عرضه –: إن هذا العبد الذى ترى لا والله ما ترك بالمدينة عربياً يصارع إلا صرعه ، وبلغني عنك قوة ، فأردت أن يجري الله صرع هذا العبد على يديك فتدرك ما عنده من أوتار العرب....[١]).

فإن الكلام من قوله: (وإلى جبنة رجل أصغر ، لا والله ما رأيت رجلاً قط أشد خلقاً منه ولا أغلظ عنقاً ، ما أدري أطوله أكثر أم عرضه). فهذه الجمل كلها اعتراضية لا محل لها من الإعراب فتقدير الكلام: (فقال لي إن العبد الذي ترى....) إلخ ... فالجمل هنا فصلت بين القول ومقوله.

ومنه ماذكره الجاحظ تحت عنوان: ما يحسن الكلب مما لا يحسنه الإنسان . فقال: سنذكر طرفاً مما أودع الله – عز وجل – الكلب مما لاتحسنه أنت أيها الإنسان مع احتقارك له وظلمك إياه[٢] .

فإن قوله (عز وجل) جملتان اعتراضيتان لا محل لهما من الإعراب والغرض منهما بيان عظمة الله وجلاله . وفصل بهما بين الفاعل ومفعوله . فإن تقدير الكلام بدونهما: (سنذكر مما أودعه الله الكلب...).

وجاء عن الجاحظ أيضاً تحت عنوان خبر الكلب في الصيد: (اعلم أن الكلب إذا عاين الظباء ، قريبة كانت أو بعيدة ، عرف المعتل وغير المعتل ، وعرف العنز من التيس . وهو إذا أبصر القطيع لم يقصد إلا التيس – وإن علم أنه أشد حضراً ، وأطول وثبة ، وأبعد شوطاً – ويدع العنز وهو يرى ما فيها من نقصان حضرها وقصر قاب خطوها ،ولكنه يعلم أن التيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حقب[٣] ببوله !![٤]).

---

[١] كتاب الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني ٣/٥٥ ، ٥٦.

[٢] كتاب الحيوان للجاحظ ٢/١١٦.

[٣] حقب بيوله تعسر عليه البول.

[٤] كتاب الحيوان للجاحظ ٢/١١٣.

في هذا المقطع جمل اعتراضية اعترضت بين المعطوف والمعطوف عليه وهي قوله (وإن علم أنه أشد حضراً ، وأطول وثبة ، وأبعد شوطاً). فتقدير الكلام بدونها (... قصد التيس ويدع العنز) إلخ..

ومن الاعتراض في النثر ماجاء في كتاب أبي هلاك العسكري : (أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر – يعني ابن دريد – يحكي عن أبي حاتم قال: الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول إنكم معاشر أهل الحضر لتخطئون المعنى ، إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول: كأنه الأسد ، ويصف المرأة بالحسن فيقول: كأنها الشمس ، لم لاتجعلون هذه الأشياء بهم أشبه[١]).

فإن جملة (يعني ابن دريد) اعتراضية لا محل لها من الإعراب ، جيء بها لإفادة التوضيح وإزالة اللبس . فتقدير الكلام بدونها: (قال سمعت أبا بكر يحكي عن أبي حاتم ...).

ومنه أيضاً: (وأخبرنا أي أبو بكر بن دريد قال: أخبرنا محمد علي عن أبيه عن إسحاق الموصلي ،أخبرنا أبو يوسف القاضي – وكان عديل الرشيد – في طريق الحج – قال : اعترضه أعرابي فأنشد أبياتاً فزبره[٢] وقال: ألم أنهكم عن قول مثل هذا الشعر ؟ ألم أقل: امدحونا بمثل قول القائل: بنو مطر يوم اللقاء ، وذكر الأبيات....[٣]).

فإن جملة: (وكان عديل الرشيد في الحج) اعتراضية لا محل لها من الإعراب وتقدير الكلام بدونها (.... أخبرنا أبو يوسف القاضي قال: اعترضه أعرابي).

ومن الاعتراض ما جاء في خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم . فإنه قال: (... حتى تقوم الحرب بكم ، بادياً نواجذها ، مملوءة أخلافها ، حُلو إرضاعها ، علقماً عاقبتها.

إلا في غدٍ – وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون – يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي أعمالها ، وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها ، وتلقي إليه سلماً مقاليدها ، فيريكم كيف عدل السيرة ، ويُحْيي ميت الكتاب والسنة).

في هذه الخطبة اعتراض ،وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (وسيأتي غد بما لا تعرفون) ، فتقدير الكلام: (إلا في غدٍ يأخذ الوالي ...) وما بينهما اعتراض ، والمراد

---

[١] ديوان المعاني لأبي هلال العسكري: ٢٥/١.

[٢] زبرة: زجره ونهره.

[٣] ديوان المعاني: لأبي هلال العسكري ٢٥/١.

منه تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه[١] ، ومنه ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من عبد مسلم يصلي لله في اليوم اثنتي عشرة ركعة – من غير الفريضة – إلا ابتنى الله له بيتاً في الجنة[٢] ، فالجملة المعترضة هي قوله: (من غير الفريضة[٣]).

فما استعملته العرب من الاعتراض في شعرها ونثرها كثير لا يمكن حصره ، وإنما أوردت هذه الأمثلة بقصد إثبات وجود الاعتراض في كلام العرب فقط ، ولم أقصد الإحاطة به ولا الحصر له أبداً.

---

[١] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤١/٥ ، ٤٢.

[٢] شرح صحيح مسلم: للأمام النووي – باب فضل السنن ٢٥٠/٦.

[٣] جوهر الكنز: تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة . لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي ص ١٣٠.

المبحث الثاني

الغرض من استخدام الاعتراض في القرآن الكريم

إن الغرض من استخدام الاعتراض في القرآن هو غرض بلاغي دائما عميق لا يمكننا أن نقطع بمعرفته تماماً ، إلاَّ أننا نلحظ شيئاً من الأغراض لتلك المعاني الدلالية الدقيقة التي تفيدها الجملة الاعتراضية في النظم القرآني ، تلك المعاني التي تنتج من علاقة الجملة المعترضة بمعاني الكلام الذي اعترضته ، وإن معانيها التي تفيدها كثيرة ، قد تناول العلماء بعضاً منها في مصنفاتهم.

وحين نتعرض للجملة الاعتراضية في القرآن الكريم ، فإنه يلزمنا أن نتعرض أولاً لما يراد بها عند العلماء ، فقد عرفها بعضهم بأنها: جملة وقعت معترضة بين شيئين متلازمين لإفادة الكلام تقوية ، ولا يفوت المعنى بفواتها . إلاَّ أن الباحث يتساءل، هل هذا التعريف الذي يدل على أن المعنى لا يفوت بفوات الجملة المعترضة خاص بكلام العرب دون القرآن الكريم أو القرآن أيضاً فيه ؟.

فالذي يراه الباحث أن هذا التعريف لا ينطبق على القرآن على إطلاقه ، ذلك أن الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم تفيد معنى لا يمكن توافره بدونها ، فإن المعنى الذي تفيده في موقعها لا تفيده في غيره ، ولا جملة غيرها إن وضعت مكانها تفيد المعنى الذي تفيده هذه الجملة في موقعها السياقي. فإذا كان الأمر كذلك فلعل من الممكن أن نقول: ولا يفوت المعنى العام بفواتها دون المعنى الخاص ، ولعلَّ هذا مما يختص به القرآن الكريم. والله أعلم.

ومن المعاني التي تفيدها الجملة الاعتراضية ما ذكره الزركشي[1] وغيره من أنها تفيد في بعض المواضع تقرير الكلام كما في قوله تعالى: (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين[2]) ، ففي هذه الآية اعتراض وهو قوله تعالى: (لقد علمتم) ، وهو اعتراض بجملة فعلية بين القسم والمقسم من أجله ، وتقدير الكلام لو في غير القرآن: (تالله ما جئنا لنفسد في الأرض) ، لكن الاعتراض بهذه الجملة يفيد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة التي وجهت لأبناء يعقوب عليه السلام.

---

[1] في كتابه: البرهان في علوم القرآن: ٣/٥٧ - ٦١.

[2] سورة يوسف: الآية: ٧٣.

ومن قبيل هذا الاعتراض قوله تعالى: (والذين ءامنوا وعملوا الصالحات وءامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم[١]).

إن في هذه الآية جملة اعتراضية وهي جملة (وهو الحق) ، واعترض بها لتفيد تقرير إثبات الحق لما أنزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذين آمنوا به يستحقون تكفيراً لسيئاتهم.

ومنها قصد التبرئة:

كقوله تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ءامنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريبا[٢]).

فجملة: (إن شاء الله) في هذه الآية اعتراضية ، يقصد بها التبرك لتعلق دخول المسجد الحرام في حالة الأمان بمشيئة الله تبركاً وتيمناً بها ، وقد جاءت هنا من قبيل قوله تعالى: (ولا تقولن لشاْيءٍ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله[٣]).

ومنها قصد التنزيه:

كقوله تعالى: (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون[٤]).

فقوله تعالى: (سبحانه) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والغرض منه تنزيه الله سبحانه وتعالى مما نسبوه إليه من البنات ، فإنه (لم يلد ولم يولد[٥]) وهذا التنزيه يفيد التعظيم ، وفيه الشناعة على من جعل لله البنات.

ومنها قصد التأكيد:

وذلك كقوله تعالى: (فلا أقسم بواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرءان كريم[٦]).

ففي هاتين الآيتين اعتراض ، وهو قوله تعالى: (وإنه قسم لو تعلمون عظيم) ، والقصد منه والله أعلم ، هو تعظيم شأن المقسم به من مواقع النجوم ، وتاكيدُ لإجلاله

---

[١] سورة محمد: الآية ٢.

[٢] سورة الفتح: الآية ٢٧.

[٣] سورة الكهف: الآية ٢٣.

[٤] سورة النحل: الآية ٥٧.

[٥] سورة الإخلاص: الآية ٣.

[٦] سورة الواقعة: الآية ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧.

في النفوس[١] ، وتقدير الكلام في غير القرآن: (فلا أقسم بمواقع النجوم – إنه لقرءان كريم) فالكلام تام إلاّ أن ما تفيده الجملة الاعتراضية من تعظيم وتوكيد قد يفوت بفقدانها.

وهناك اعتراض في داخل الجملة الاعتراضية السابقة ، وهو قوله تعالى: (لو تعلمون) فهذه الجملة الاعتراضية فصلت بين الصفة والموصوف وهو قوله تعالى: (وإنه لقسم عظيم) فهذا تقدير الكلام في غير القرآن الكريم.

ومنها التخصيص:

وذلك لتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد على أمر علق بهما ، كقوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه – حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين – أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير[٢]).

فاعترض في هذه الآية بقوله تعالى: (حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين) بين (ووصينا) و (أن اشكر لي ولوالديك) ، وفائدة هذا الاعتراض تذكير الولد بما كبَّدته أمه من المشقة في حمله وفصاله ، فذكر الحمل والفصال ليفيد زيادة التوصية بالأم ، لتحملها من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد ، ولهذا جاء في حديث رسول الله صلى عليه وسلم . الوصية بالأم ثلاث مرات وبالأب مرة واحدة[٣] . ونصه: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال: أمك ، قال: ثم من ؟ قال: أمك ، قال: ثم من ؟ قال: أمك ، قال ثم من ؟ قال: أبوك[٤]).

ومنها: زيادة الرد على الخصم:

كقوله تعالى: (وإذ قتلتم نفساً فادارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون[٥]).

فقوله تعالى: (والله مخرج) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه . وفائدة هذا الاعتراض والله أعلم ، هو أن يقرر في نفس المخاطبين أن تدارؤ بني إسرائيل في قتل تلك الأنفس لم يكن نافعاً لهم في إخفائه وكتمانه ، لأن الله مظهرٌ ذلك ومخرجه .

---

[١] البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٣/٨٥.

[٢] سورة لقمان: الآية ١٤.

[٣] البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٣/٨٥.

[٤] فتح الباري: شرح صحيح البخاري: كتاب الأدب – باب من أحسن الناس بحسن الصحبة ١٠/٤٠١ رقم الحديث ٥٩٧١.

[٥] سورة البقرة: الآية ٧٢.

ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض لكان: (وإذ قتلتم نفساً فادّارءتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها) وفي هذه الحالة تفقد الفائدة الناتجة عن الاعتراض.

ومن قبيل هذا الإعتراض قوله تعالى: (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون[١]).

فجملة: (والله أعلم بما ينزل) اعتراضية ، وقعت بين (إذا) وجوابها وهو قوله تعالى: (قالوا إنما أنت مفتر) فكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم ، فجعل الاعتراض جواباً[٢].

ومنها: الإدلاء بالحجة:

وذلك قوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون[٣])

ففي هذه الآية اعتراض ، وهو قوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، وهذا الاعتراض وقع بين قوله تعالى: (نوحي إليهم) وبين قوله تعالى: (بالبينات والزبر) والغرض من هذا الاعتراض والله أعلم هو إظهار قوة الحجة عليهم[٤].

ومنها: الاسترحام:

وذلك كقوله تعالى: (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء[٥]).

وفي هذه الآية جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب وهى جملة النداء في قوله تعالى: (رب) على لسان زكريا ، فجاءت معترضة بين القول ومقولة ، وتفيد الاسترحام ، فزكريا يسترحم ربه بأن يهب له ذرية طيبة . وتقدير الكلام بدون الجملة الاعتراضية في غير كلام الله هو هكذا: (قال هب لي ذرية طيبة) ، وفى هذه الحالة فإن المعنى الصحيح إلاّ أنه فقد فائدة الاعتراض.

فهذه بعض المعاني التي تفيدها الجمل الاعتراضية أوردتها على سبيل المثال لا الحصر.

---

[١] سورة النحل الآية: ١٠١.

[٢] البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٣/٥٩ (بتصرف قليل).

[٣] سورة النحل: الآية ٤٣ ، ٤٤.

[٤] البرهان في علوم القرآن: للزركشي ١/٦٠ (بتصرف).

[٥] سورة آل عمران: الآية ٣٨.

المبحث الثالث

العلاقة بين الجملة الاعتراضية وما اعترضته

إن للجملة أو الجمل الاعتراضية علاقة وثيقة بما اعترضته من الكلام ، ويتضح لنا ذلك من خلال علم النظم ، فهو يبحث في علاقة الجملة بالجملة وبيان وجه إرتباطها بها ، والأسرار المعنوية – وراء هذه الارتباطات ،وإذا كان الإعراب بين لنا أن (الذين يؤمنون بالغيب[١]) مبتدأ وأن (أولئك على هدى) في محل رفع خبر لهذا المبتدأ ، أو أن (الذين يؤمنون) تابع (للمتقين) وبدل منه ، وجملة (أولئك) إلخ ، لا محل لها من الإعراب لأنها وقعت موقع (الاستئناف).

وإذا كان علم الإعراب بين لنا هذا ، فإن علم النظم هو الذي وراء هذه الصناعة النحوية ، ويفسرها ويكشف لنا ألوان المعاني التي وراءها ،ولهذا تراه يقول: وإذا ارتفع الموصول الثاني على الابتداء – وهذا وجه ثالث من التخريجات النحوية – يعطي التركيب معنى جديداً يفهم من غرضه[٢].

وهكذا بين لنا علم النظم صلة معاني الجمل المعترضه بالكلام الذي اعترضته فالتسبيب بين آية (وإذا ذكر الله) ، وآية (فإذا مس الإنسان ضر) واضح ، وإن اعترضت بينهما هذه الجمل الطويلة ، لأن الاعتراض تأكيد الكلام وتقريره ، فهو جزء منه مرتبط به .

ومثل هذا البحث الذي يكون موضوعه علاقة الجمل المعترضة بالجمل المعترض فيها ، وتوضيح هذه العلاقة حتى يظهر اتحاد الجمل ، والتئام بعضها ببعض، وتخصيص هذا البحث بعلم النظم ، لأن علم النظم هو الذي يقوم بدراسة هذا التعبير الذي تتداخل جمله وتقوم بينهما روابط قوية خفية وعلاقة وثيقة غامضة[٣] يذكرها الزمخشري في قوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين. وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون[٤]).

---

[١] سورة البقرة: الآية ٣.

[٢] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: د. محمد أبو موسى ص ٢٣٧.

[٣] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: د. محمد أبو موسى ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

[٤] سورة القصص: الآية ٨ ، ٩ .

وفي ذلك يقول الزمخشري: فإن قلت: (وهم لا يشعرون) حال ، فما ذو حالها ؟ قلت: ذو حالها آل فرعون ، وتقدير الكلام: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ، وقالت امرأة فرعون – كذا – وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ، ورجاء النفع منه ولبنيه ، وقوله: (إن فرعون) في الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم ، و ما أحسن نظم هذا الكلام عند العالم بعلم محاسن النظم[١].

ومن قبيل سياق الجملة الاعتراضية لتقرير الكلام وتوكيده يقول الزمخشري أيضاً في قوله تعالى: (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل ءالذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين. ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل ءالذاكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين . أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين[٢]).

(فإن قلت: كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يول بينهما ؟ قلت: قد وقع الفاصل بينهما اعتراضاً غير أجنبي من المعدود ، وذلك أن الله عز وجل منَّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم بإباحتها لهم ، فاعترض بالاحتجاج على من حرمها ، والاحتجاج على من حرمها تأكيد شديد للتحليل ، والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد[٣]).

وكذلك قال الزمخشري في قوله تعالى: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً . واتخذ الله إبراهيم خليلاً[٤]).

- فجملة (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) اعتراضية لا محل لها من الإعراب ، لذا قال الزمخشري: (فإن قلت: ما موقع هذه الجملة ؟).

---

[١] الكشاف للزمخشري: ١٦٦/٣ – دار الفكر.

[٢] سورة الأنعام: الآية ١٤٣ ، ١٤٤.

[٣] الكشاف: ٨٥/٢.

[٤] سورة النساء: الآية ١٢٥.

قلت: هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب كنحو ما (يجيء) في الشعر من قولهم: (والحوادث جمة) ، فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لأن من بلغ الزلفى عند الله أن اتخذه خليلاً كان جديراً بأن تتبع ملته و طريقته[١].

فما تناوله الزمخشري يدل دلالة واضحة على أن الجملة أو الجمل الاعتراضية لها صلة وعلاقة وثيقة بالكلام الذي اعترضته. وقد ذكرت آنفاً أن هذه العلاقة أحياناً تكون واضحة ، وفي بعض الأحيان تكون غامضة ولكن مع ذلك فإن الزمخشري يقف عندها ويدقق النظر والتأمل فيها ليبين قوة صلتها بما اعترضته ، وأنها مسوقة للتوكيد والتقدير ،كما جاء في قوله: (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون. وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين. أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير. قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شئ قدير . يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون. وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير . والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم . فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون[٢]).

إن هذه الآية (وإن تكذبوا فقد كذب أمم .....) والآيات التي بعدها إلى قوله تعالى: (فما كان جواب قومه ....) محتملة أن تكون من قول إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لقومه ، أو أن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآيات: فإن قلت: فإذا كانت خطاباً لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة إبراهيم والجملة أو الجمل [٣] الاعتراضية التي لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ، ألا تراك لا تقول: مكة – وزيد أبوه قائم – خير

---

[١] الكشاف: للزمخشري ٥٦٦/١.

[٢] سورة العنكبوت: الآية ١٦ – ٢٤.

[٣] ما جاء في طبعة دار الفكر خطأ ، حيث ذكر (الجملة أو الجملة) ٢٠١/٣ ط ٢ ، وما كتبته في النص هو الصواب.

بلاد الله ؟ قلت: إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون مسلاة له ومتفرجاً ، بأن أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوًّا بنحو ما مني به من شرك قومه – وعبادتهم الأوثان فاعترض به – وإن تكذبوا – على معنى يا معشر قريش إن تكذبوا محمداً فقد كذب إبراهيم قومه ، وكل أمة نبيها ، لأن قوله – فقد كذب أمم من قبلكم – لابد من تناوله لأمة إبراهيم ، وهو كما نرى اعتراض واقع متصل ، ثم سائر الآيات من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله ، وهدم الشرك ، وتوهين قواعده واصفهٔ [١] قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه[٢]).

وقال أبو حيان: (فتقدير هذه الجمل اعتراضاً يرد على أبي علي الفارسي حيث زعم أن الاعتراض لا يكون جملتين فأكثر. وفائدة هذا الاعتراض تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .....[٣]).

ومن خلال ما سبق اتضح لنا مدى علاقة الجمل الاعتراضية بما اعترضته ، وأيضاً من خلال ذلك نستخلص أن الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم ليست كالجملة الاعتراضية في الشعر أو النثر ، فإنها في غير القرآن الكريم لا يؤثر حذفها في معنى الكلام ،ولكنها في القرآن الكريم بعكس ذلك ، فإن حذفها يفقد معنى الجملة بعض الفوائد البلاغية كالتوكيد ، والتقرير ، والاسترحام ، وغير ذلك ، فإن الجمل الاعتراضية في القرآن الكريم جيءَ بها لمعانٍ لا يمكن أن تتوافر بدونها. والله أعلم.

---

[١] جاء في طبعة دار الفكرو (صفة) والصواب ما أثبته في النص ، ٢٠١/٣ ط ٢.

[٢] الكشاف للزمخشري: ٢٠١/٣ ، البلاغة القرآنية – د. أبو موسى ص ٤٥٥.

[٣] البحر المحيط: لأبي حيان: ١٤٧/٧ ط ٢ . دار الفكر.

المبحث الرابع

الاعتراض بأكثر من جملة

إن الاعتراض بأكثر من جملة وارد في كلام العرب ، وفي القرآن الكريم. فمما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم[١]).

ففي هذه الآية جملتان معترضتان هما قوله تعالى: (والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى) ، فتقدير الكلام بدونهما (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى وإني سميتها مريم...) ، وبهذا يكون معنى الآية تاما ، إلا أن دلالتها في الأصل هي دلالة الجملتين المعترضتين كما هو ظاهر. والجملتان واقعتان بين متعاطفين ، ولذا يقول الزمخشري [٢]: فإن قلت: علام عطف قوله: (وإني سميتها مريم ؟) قلت: هو عطف على (إني وضعتها أنثى) وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم[٣]).

ومما يلاحظ هنا هو أن ما ذهب إليه الزمخشري مبني على قراءة (وضعتْ) بسكون التاء[٤]أو قراءة (وضعتِ) بكسر التاء. ولكن أبا حيان قال:(ولا يتعين ما ذكر من أنهما جملتان معترضتان لأنه يحتمل أن يكون(وليس الذكر كالأنثى) في هذه القراءة[٥] من كلامها ، ويكون المعترض جملة واحدة ، كما كانت من كلامها في قراءة من قرأ (وضعتُ) بضم التاء.

بل ينبغي أن يكون هذا المتعين لثبوت كونه من كلامها في هذه القراءة – أي: قراءة الضم ، ولأن في اعتراض جملتين خلافا ، ومذهب أبي علي هو أنه لا يعترض جملتان ... وأيضا – تشبيهه هاتين الجملتين اللتين اعترض بهما بين المعطوف والمعطوف عليه على زعمه بقوله: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) ليس تشبيها مطابقا

---

[١] سورة آل عمران: الآية ٣٦.

[٢] الكشاف: ١/٤٢٥.

[٣] سورة الواقعة الآية: ٧٦.

[٤] وبهذه القراءة قرأ حفص وكذلك ورش.

[٥] يقصد قراءة السكون أو الكسر في (وضعتِ).

للآية السابقة ، وإنه لم يعترض جملتان بين طالب ومطلوب بل اعتراض بين القسم الذي هو: (فلا أقسم بمواقع النجوم) وجوابه الذي هو قوله: (إنه لقرآن كريم) ، بجملة واحدة وهى قوله: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) ، لكنه جاء في بعض أجزاء جملة الاعتراض اعتراض آخر وهو قوله تعالى: (لو تعلمون) ،اعترض به بين النعت ومنعوته ،فصار في الآية اعتراض في اعتراض ، وليس فصلاً بجملتى [1] اعتراض كما في قوله تعالى: (والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى).

ومما سبق من رد أبى حيان للزمخشرى ألحظ الآتى:

١/ قوله: ولا يتعين ما ذكر من أن الجملتين معترضتان لاحتمال أن يكون قوله تعالى: (وليس الذكر كالأنثى) من كلام أم مريم ، أقول إن هذا الاحتمال وارد ، لأنه لا مانع من أن يكون هذا الكلام من كلامها. وكذلك يكون من كلامها في قراءة الضم ، أي: ضم قوله تعالى: (والله أعلم بما وضعتُ).

٢/ أما قوله يتعين أن يكون من كلامها في قراءة السكون أو الكسر ، فهذا التعيين فيه نظر ، وذلك نظراً للآتي:

أ. أما قوله يتعين أن يكون من كلامها في قراءة الضم فنعم ، إلا أن احتمال الاعتراض بجملة واحدة مازال واردا . ولكن الاحتجاج بمذهب أبي علي الذي يمنع والاعتراض بأكثر من جملة فلا معنى له ؛ لأن أبا حيان الذي يحتج بهذا المذهب هو من الذين رفضوا ما ذهب إليه أبو علي وردوه فلا ينبغي له أن يحتج به بعدما رفضه .

ب/ احتجاج أبى حيان بأن الاعتراض بجملتين فيه خلاف ، فمذهب أبى علي يمنع الاعتراض بأكثر من جملة.

فألحظ أن المخالف وهو أبو على قد رد النحاة عليه ، وعلى من تبعه – إن كان هناك من تبعه في ذلك – ، بأن الاعتراض بأكثر من جملة وارد في آيات كثيرة ، ومن الذين ردوا عليه أبو حيان أيضاً ، فإنه قال: في قوله تعالى: (وإن تكذبوا فقد كذب أمم ..) والآيات التي بعدها إلي قوله تعالى: (فما كان جواب قومه...) قال فتقدير هذه الجمل

---

[1] البحر المحيط: لأبى حيان ٢/٤٤٠.

اعتراضاً يرد على أبي علي الفارسي [١] حيث زعم أن الاعتراض لا يكون جملتين فأكثر[٢].

فأقول كيف أنه يرد على ما ذهب إليه أبو علي ثم يحتج بخلافه لترجيح احتمال على احتمال؟.

وكذلك رد ابن مالك على أبي علي بقوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر[٣]...).

فاعترض بأكثر من جملة بين قوله (نوحي إليهم) وقوله: (بالبينات والزبر...) بقوله (فاسئلوا...) الخ ...

ج/ وإن كان قد رد على ابن مالك بأن جملة الأمر (فاسئلوا) دليل للجواب عند الأكثرين، ونفسه عند الآخرين ، فهو مع جملة الشرط كالجملة الواحدة [٤].

ولكني ألحظ وإن رُدَّ على ابن مالك في هذه الآية فهناك آيات غيرها ثبت فيها الاعتراض بأكثر من جملة ، فهي صالحة لأن يرد بها على أبي علي الفارسي. منها قوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان. فبأي ءالآء ربكما تكذبان. ذواتا أفنان. فبأي ءالآء ربكما تكذبان. فيهما عينان تجريان فبأي ءالآء ربكما تكذبان. فيها من كل فاكهة زوجان. فبأي ءالآء ربكما تكذبان. متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان[٥]).

ففي هذه الآيات اعتراض بأكثر من جملة في حالة جواز أن يكون قوله تعالى: (متكئين على فرش بطائنها من استبرق...) حالا من قوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ، ويلزم أن يكون الاعتراض بسبع جمل مستقلات إن كان قوله تعالى: (ذواتا أفنان) خبراً لمبتدأ محذوف ، وإلا فلزم أن يكون الاعتراض بست جمل مستقلات[٦]

---

[١] هو الحسن بن أحمد الفارسي ، نشأ بفسا (في بلاد فارس) وله عدة مؤلفات منها الإغفال – والإ يضاح – والتكملة ، توفي ببغداد سنة ٣٧٧هـ نشأة النحو: محمد الطنطاوي ص ١٥٦.

[٢] البحر المحيط: لأبى حيان ١٤٧/٧.

[٣] سورة النحل: الآية ٤٣ ، ٤٤.

[٤] مغني اللبيب: لابن هشام ص ٥١٦.

[٥] سورة الرحمن: الآية ٤٦ – ٥٤.

[٦] البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٦٠/٣ (بتصرف).

فيكون المدلول إن الذين يخافون مقام ربهم متمتعون ومتنعمون في منازلهم باتكائهم على فرش من استبرق. وما بين الحال وصاحبها اعتراض.

فبهذا الاعتراض وبغيره في الآيات الأخرى يرد على مذهب أبي علي ومن ثم فإنه لا يصح لأبي حيان أن يحتج بالخلاف الحاصل في الاعتراض بأكثر من جملة ، وهو أيضاً لا يؤيده.

٣-تعقبُه الزمخشري في تشبيهه الاعتراض بجملتين في قوله تعالى: (والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) بالاعتراض بجملتين في قوله تعالى: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) بأنه تشبيه غير مطابق: فإنه تعقب لا بأس به.

إلا أنني لا أرى بأساً في تشبيهه ، لأننا إن أعربنا قوله تعالى: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) نعربه جملتين ، الأولى: وإنه لقسم عظيم ، والثانية: لو تعلمون ، ونجد أن الجملة الثانية وقعت معترضة في الجملة الأولى إلا أن كلتا الجملتين وقعتا بين شيئين متلازمين هما قوله تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم) وقوله تعالى: (إنه لقرآن كريم) ، أي: بين القسم وجوابه ، وهذا يعتبر فصلاً بجملتين كما في قوله: (والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى) ، لأن المراد ليست المطابقة وإنما هو وجود أكثر من جملة معترضة فقط. والله أعلم.

ومن أدلة الاعتراض بأكثر من جملة قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً. من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه[1]...) .

فإن قدر قوله تعالى: (من الذين هادوا) بياناً لـ (الذين أوتوا نصيبا...) وتخصيصاً لهم أو إذا كان اللفظ عاماً في اليهود والنصارى ، أو كان المراد هم اليهود ،أو بياناً لقوله تعالى: (لأعدائكم) فإن المعترض على هذا التقدير جملتان ، وعلى التقدير الأول ثلاث جمل ، هي: (والله أعلم) ، (وكفى بالله ولياً) ،و(كفى بالله نصيراً) ، هذا كله في حالة عدم تعليق (من) (نصير)، أو بخبر محذوف ، أو على أنَّ (يحرفون) صفة لمبتدأ محذوف ففي هذه الحالة لا اعتراض في الآية البتة[2].

---

[1] سورة النساء: الآية ٤٤ - ٤٦.

[2] مغني اللبيب: لابن هشام ص ٥١٥.

وجوز الزمخشري أيضاً الاعتراض بسبع جمل في قوله تعالى: (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفو وقالوا قد مس آبائنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون. ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بماكانوا يكسبون. أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون[١]).

قال: الزمخشري: (فإن قلت: ما المعطوف عليه ... ؟ قلت المعطوف عليه قوله: (أفأمن) ، معطوف على (فأخذناهم بغتة)، وقوله: (ولو أن أهل القرى ...) إلي قوله (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) وقع اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه [٢]). وفي ذلك يقول ابن مالك:

إن الزمخشري قد حكم. بجواز الاعتراض بسبع جمل في هذه الآيات ، وردّ عليه من ظن أن الجملة والكلام مترادفان ، فقال: إنما اعترض بأربع جمل ، وزعم أن مِنْ عند قوله: (ولو أن أهل القرى) إلي (والأرض) جملة واحدة ، لأن الفائدة إنما تتم بمجموعه. وكان من حقه أن يعدها ثماني جمل وفى القولين نظرٌ.

أما قول ابن مالك فلأنه كان من حقه أن يعدها ثماني جمل ، إحداها (وهم لا يشعرون) وأربعة في حيز (لو) وهي (امنوا) و(اتقوا) ، (وفتحنا) ، والمركبة من (أن) وصلتها مع (ثبت) مقدراً ، أو مع (ثابت) مقدراً ، على الخلاف في أنها فعلية أو اسمية – والسادسة: (ولكن كذبوا) ، والسابعة (فأخذناهم) ،والثامنة (بما كانوا يكسبون).

فإن قلت: لعله بنى ذلك على ماالختاره ونقله عن سيبويه من كون (أن وصلتها) مبتدأ لا خبر له ، وذلك لطوله وجريان الإسناد في ضمنه.

قلت: إنما مراده أن يبين مالزم من إعراب الزمخشري ، والزمخشري يرى أن (أنَّ) وصلتها هنا فاعل ليثبت.

وأما قول المعترض فلأنه كان من حقه أن يعدها ثلاث جمل ، وذلك لأنه لا يعد (وهم لا يشعرون) جملة. لأنها حال مرتبطة بعاملها ،وليست مستقلة برأسها ، ويعد (لو) وما في حيزها جملة واحدة إما فعلية إن قدر (ولو ثبت أن أهل القرى ءامنوا واتقوا) ، أو اسمية إن قدر (لو أن إيمانهم وتقوا هم ثابتان) ، ويعد (ولكن كذبوا) جملة ، و

---

[١] سورة الأعراف: الآية ٩٥ – ٩٧.

[٢] الكشاف: للزمخشري ٩٨/٢ ، وقد حصل خطأ في إعراب هذه الآية في هذه الطبعة حيث جعل فأخذناهم معطوفاً عليه ، والصحيح: أنه معطوف والمعطوف عليه (أفأمن) وما أثبته في النص هو الصحيح.

(أخذناهم بما كانوا يكسبون) كله جملة ، وهذا هو التحقيق على ما نقله ابن هشام وهـــذا لا ينافي في ذلك ما قدمناه في تفسير الجملة ، لأن الكلام هنا ليس في مطلق الجملـــة ، بل في الجملة بفيد كونها جملة اعتراضية ، وتلك لا تكون إلا كلاماً تاماً[١].

إن ما أوردته هنا من الآيات هو قليل من كثير من الآيات التي تدل على وقـوع الاعتراض بأكثر من جملة.

---

[١] مغني اللبيب: لابن هشام ص ٩٠ – ٩٢.

إكتساب العمل الصالح الذي يجعلهم مقيمين في الجنة ، متنعمين بنعيمها الدائم المقصور عليهم بقوله تعالى: (أولئك أصحاب الجنة).

وهكذا نجد أن الدور الذي تؤديه الجملة الاعتراضية القرآنية في مجال النظم لا يمكن أن يؤديها غيرها من الجمل مهما حسن موقعها ، لكننا عندما نبحث عن بلاغة الاعتراض في القرآن الكريم فإننا لا نبحث فيما يشاركها فيه غيرها من كلام البلغاء ، وإنما نبحث عمَّا تنفرد به من دقيق المعاني ، وما تدل عليه من بلاغة وإعجاز ، ومن أبرز الفروق بينهما وبين بلاغة البلغاء ، أن أحد أوجه بلاغة الاعتراض كامن في نظم حروف القرآن ، بخلاف بلاغة كلام البلغاء ، فإن بلاغتهم إنما تصنع لموضعها وتبنى عليه ، فربما أوفت بما يراد منها ، وربما أخلفت ، ولو أنها رفعت من نظم الكلام ثم نزل غيرها منزلتها لرأيت الأمر نفسه غير مختلف ، بل عسى أن يصح ويجوز في مواضع كثيرة من كلامهم ، لكن بلاغة الاعتراض في القرآن الكريم بخلاف ذلك ، فإنها مبنية على توازن حروف القرآن ، وائتلاف مخارجها ، وتناسب أصواتها في كل جملة من جمله ، فعلى سبيل المثال قوله تعالى: (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين[1]) ، فإن جملة (ولن تفعلوا) اعتراضية معجزة ، تفيد التحدى بحروفها وكلماتها ، وإن سر الإعجاز فيها يكمن في عدم إمكانهم الإتيان بما طولبوا به ، وسر استمرار التحدي يكمن في قوله (لن) فإننا لو غيرنا حرفاً واحداً من حروف استمرار التحدي وقلنا مثلاً (لا) بدلاً من (لن) فإن (لا) لا تفيد في العربية ما تفيده (لن) وفي هذا وحده دليل على أن الإعجاز القرآني يبدأ من نظم حروفه ، ثم إننا نلحظ كذلك في هذه الجملة الترابط بينها وبين ما اعترضته ، وهكذا كلما أطال الدارس نظره في معاني القرآن ، وفي طبيعة هذه المعاني ، وفي وجه تأديها إلى النفس ، وما عسى أن تعارضه النفس به ، أو تدافعه به وتلتوي عليه من قبله ، ثم نظر إلى طبقات هذه المعاني بعينها ، ونظر إلى تقديرها على طبقات الأفهام ، ونظر إلى ارتباط تلك المعاني بما قبلها ، وإلى اندماجها فيما بعدها ،ثم تدبر ألفاظ مفردات تلك الجمل ، ومناسبة بعضها البعض في الجملة الواحدة من حيث معناها ونظمها ودلالاتها اللغوية ، لو جده أمر لا يمكن أن يجتمع في كلام أحد من الناس ، وإنما هو مجتمع كله في كلام خالق الناس.

---

[1] سورة البقرة: الآية ٢٤.

وقد ذكر الرافعي قضية إعجاز القرآن في اللفظ الواحد وحتى في الحرف الواحد فقال: (فالحرف الواحد في القرآن معجز في موضعه ، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها يمسك بها الآية والآيات الكثيرة ، وهذا هو السر في إعجاز جملته أبدياً فهو أمر فوق الطبيعة ، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان ، إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة ، وأنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض[1]).

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي ص ٢٤٠.